

المدينة بالصواريخ والقنابل، من الجو والبحر والبر، بصورة مستمرة، وقف جيش اسرائيل «الاسطورة» عاجزاً عن ترويض بضعة الآف من المقاتلين الفلسطينيين واللبنانيين.

ان فشل الجيش الاسرائيلي في اقتحام بيروت بالقوة، في صيف العام ١٩٨٢، لم يكن بسبب تراجع قوة اسرائيل العسكرية، ولكن بسبب ارتفاع ثمن اقتحام العاصمة اللبنانية في ضوء الاوضاع التي كانت سائدة آنذاك؛ اذ بينما رفض المقاتلون الفلسطينيون واللبنانيون قبول الهزيمة وأصروا على مقاومة العدو بعناد، كانت ردود الفعل السلبية داخل اسرائيل تتصاعد بشكل متواصل وتحد من قدرة القيادة العسكرية والسياسية الاسرائيلية على حرية اتخاذ القرار وتنفيذه. ومن ناحية أخرى، كانت مشاهد الدمار، والقتل، والتشريد، التي الحقها اسرائيل بشعب لبنان تثير اشمئزاز الرأي العام العالمي وتحرك بعض قطاعاته للوقوف ضد سياسة اسرائيل واعمالها الوحشية.

وبعد وقوع مذابح صبرا وشاتيلا في بيروت وقيام حوالى نصف مليون يهودي اسرائيلي بالتظاهر ضد سياسة حكومتهم التوسعية ورفضها لمبادرات السلام الدولية، وفي ضوء تراجع القوات العسكرية الاسرائيلية أمام ضربات المقاومة الوطنية في لبنان، اتضحت حدود قوة اسرائيل العسكرية؛ اذ أصبح من الواضح ان غالبية الاسرائيليين لن تدعم قيام حكومتهم بغزو دولة عربية مجاورة بعد تجربة لبنان، وانه في حالة قيام اسرائيل بتكرار ما حدث في لبنان، فان احتمالات نجاحها في تحقيق أهدافها سوف تكون ضعيفة للغاية، ان لم تكن معدومة. وكما أثبتت تجربة لبنان، فشلت اسرائيل، فشلاً ذريعاً، في تحقيق أي من أهدافها السياسية على الساحة اللبنانية، وذلك، طبعاً، على الرغم من نجاحها في كسب المعركة العسكرية؛ ونجحت، فقط، في تحويل لبنان إلى دولة مواجهة حقيقية، فرضت على اسرائيل خوض معركة استنزاف دفاعية.

في الوقت عينه، كان الاقتصاد الاسرائيلي في حالة تراجع وانحسار؛ وهو الاقتصاد الذي لم يكن في استطاعته، في أي يوم من الايام، توفير متطلبات بناء وتنمية قدرات جيش في حجم جيش اسرائيل. وفي الواقع، كان أحد دوافع القيام بغزولبنان في العام ١٩٨٢ السيطرة على موارد اقتصادية جديدة، وفتح اسواق لبنان للبضائع الاسرائيلية، وتسخير امكانات لبنان المالية، والتجارية، لتجديد حيوية الاقتصاد الاسرائيلي، الذي كان يدخل مرحلة الشيخوخة. وبسبب فشل الجيش الاسرائيلي في تحقيق أهدافه السياسية على الساحة اللبنانية، واضطراره إلى خوض حرب استنزاف ضد قوات المقاومة العربية، ازدادت أحوال الاقتصاد سوءاً، مما اضطر القيادة الاسرائيلية إلى طلب المزيد من المعونات الاميركية. وبالفعل، تجاوزت الحكومة الاميركية، والجالية اليهودية، مع الطلبات الاسرائيلية، حيث تم تعويض اسرائيل عن خسائرها في لبنان وزيادة حجم المعونات الاقتصادية، والعسكرية، على حد سواء، وتحويل المعونات الرسمية، كافة، إلى منح وهبات خلال سنتين. الا ان كل تلك الاجراءات، وغيرها، فشلت في اعادة الشباب إلى اقتصاد مصاب بعاهات وتشوهات كثيرة، ادخلته، فيما بعد، حالة من الغيبوبة، يصعب التنبؤ بطولها وتقدير احتمالات الخروج منها.

في السبعينات، انحصر الحماس الاميركي الكبير لاسرائيل في محاولة اعدادها للقيام بدور الاداة في تنفيذ سياسة امريكا الخارجية. في اوائل الثمانينات، كان الولع الاميركي باسرائيل ناتجاً عن نجاحها في اداء الاعمال القذرة لحساب الولايات المتحدة، والقيام بمغامرات عسكرية أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة، كالذهاب إلى اوغندا لاطلاق سراح بعض الرهائن، والوصول إلى بغداد لتدمير مفاعل نووي. ولذلك، استهدفت عملية غزو لبنان ترسيخ صورة «الجيش الذي لا يقهر» في مخيلة